تفسير إبن كثير

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

يقول تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) أي : جعلكم تعمرون الأرض جيلا بعد جيل ، وقرنا بعد قرن ، وخلفا بعد سلف . قاله ابن زيد وغيره ، كما قال : (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) [الزخرف : 60] ، وكقوله تعالى : (ويجعلكم خلفاء الأرض) [النمل : 62] ، وقوله (إني جاعل في الأرض خليفة) [البقرة : 30] ، وقوله (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) [الأعراف : 129] .وقوله : (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) أي : فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق ، والمحاسن والمساوئ ، والمناظر والأشكال والألوان ، وله الحكمة في ذلك ، كقوله : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) [الزخرف : 32] ، وقوله تعالى : (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) [الإسراء : 21]

.وقوله : (ليبلوكم في ما آتاكم) أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به ، ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره ، والفقير في فقره ويسأله عن صبره .وقد روى مسلم في صحيحه ، من حديث أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، رضي االله عنه ، قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إن الدنيا حلوة خضرة وإن االله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء "وقوله : (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) ترهيب وترغيب ، أن حسابه وعقابه سريع ممن عصاه وخالف رسله (وإنه لغفور رحيم) لمن والاه واتبع رسله فيما جاءوا به من خير وطلب .وقال محمد بن إسحاق : يرحم العباد على ما فيهم . رواه ابن أبي حاتم .وكثيرا ما يقرن تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين ، كما قال تعالى : وقوله : (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) [الحجر : 49 ، 50] ، وقوله : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) [الرعد : 6] وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب ، فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه ، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها

والقيامة وأهوالها ، وتارة بهذا وبهذا لينجع في كل بحسبه . جعلنا االله ممن أطاعه فيما أمر ، وترك ما عنه نهى وزجر ، وصدقه فيما أخبر ، إنه قريب مجيب سميع الدعاء ، جواد كريم وهاب .وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا زهير ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي االله عنه أن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " لو يعلم المؤمن ما عند االله من العقوبة ما طمع بالجنة أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند االله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد ، خلق االله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها ، وعند االله تسعة وتسعون "ورواه الترمذي ، عن قتيبة ، عن عبد العزيز الدراوردي ، عن العلاء به . وقال : حسن صحيح . ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة وعلي بن حجر ، ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر ، عن العلاء .آخر تفسير سورة الأنعام والله الحمد والمنة.